



بإشراف الشيخ أبي الحسن علي الرملي

تفريغ دروس (شرح السنة للبرهاري)

شرح الشيخ (علي الرملي) حفظه الله

المستوى الثاني

الدرس رقم (3)

التاريخ: الأحد 25/شوال/1440 هـ

29/حزيران/2019 م

الدرس الثالث من شرح السنة للبرهاري

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد:
وقفنا عند قول المؤلف رحمه الله تعالى:

[4] واعلم - رحمك الله - أَنَّ الدِّينَ إِنَّمَا جَاءَ مِنْ قِبَلِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، لَمْ يُوضَعْ عَلَى عُقُولِ الرِّجَالِ وَأَرَائِهِمْ، وَعِلْمُهُ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ، فَلَا تَتَّبِعْ شَيْئاً بِهَوَاكَ، فَتَمَرِّقَ مِنَ الدِّينِ، فَتَخْرُجَ مِنَ الْإِسْلَامِ؛ فَإِنَّهُ لَا حُجَّةَ لَكَ؛ فَقَدْ بَيَّنَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَأُمَّتِهِ السُّنَّةَ، وَأَوْضَحَهَا لِأَصْحَابِهِ، وَهُمْ الْجَمَاعَةُ، وَهُمْ السَّوَادُ الْأَعْظَمُ، وَالسَّوَادُ الْأَعْظَمُ: الْحَقُّ وَأَهْلُهُ، فَمَنْ خَالَفَ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الدِّينِ؛ فَقَدْ كَفَرَ)

يقول المؤلف مؤسساً ومؤصلاً: أن الدين الذي هو الأقوال والأعمال والعقائد التي نتقرب بها إلى الله تبارك وتعالى - هذا معنى الدين -، ولعلكم تذكرون حديث عمر بن الخطاب⁽¹⁾ وأبي هريرة⁽²⁾ في مجيء جبريل إلى النبي ﷺ وسؤاله عن الإسلام والإيمان والإحسان، فذكر له العقائد وذكر له الأعمال والأقوال، ثم قال النبي ﷺ: "ذاك جبريل جاءكم يعلمكم دينكم"، فهذا هو الدين؛ ما نتقرب إلى الله به من عقائد وأقوال وأعمال.

يقول المؤلف: هذا الدين إنما هو: ما جاءك من قِبَلِ اللَّهِ، يعني ما جاءك من عند الله، فالدين ما يأتي من عند الله لا من عند غيره، فأنت تتعبد لله تبارك وتعالى بما شرع كما قال الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم:

﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَوُا شَرَعُوا لَهُمْ مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنَ بِهِ اللَّهُ﴾ (٢).

تدل هذه الآية على أن الدين هو ما أذن به الله تبارك وتعالى، وقال سبحانه: {اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ} (4)، فإذا الأمر الذي أمرنا الله تبارك وتعالى باتّباعه هو شرعه

¹ - أخرجه مسلم (8)

² - أخرجه البخاري (50)، ومسلم (9).

(3) [سورة الشورى: 21]

⁴ [الأعراف: 3]

الذي أوحى به إلى النبي ﷺ، وقال عليه الصلاة والسلام: "من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد" (1) يعني مردود عليه، فالله سبحانه وتعالى أراد منا أن نعبدّه وأن نخضع ونتذلّل له؛ لكن بما شرع، لا بما تهوى أنفسنا ولا بما تراه عقولنا وتستحسنه آراؤنا.

قال: (لم يوضع على عقول الرجال وآرائهم)، الدين هو ما شرعه الله وأوحى به إلى نبيه ﷺ وما جاء به النبي ﷺ لا ما رآه الرجال واستحسنوه وأدركته عقولهم، ليس هذا الدين. قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: (لو كان الدين بالرأي لكان مسح الخف من الأسفل أولى من مسحه من الأعلى) (2) لماذا؟ لأنك إذا أردتها بالعقل فإن الجهة التي تتسخ وتتعرض للأوساخ أكثر هي الجهة السفلية وليست الجهة العليا من الحذاء، إذن فلماذا يُمسح الأعلى ويُترك الأسفل؟ عقلاً يُمسح الأسفل وليس الأعلى؛ لكن الدين ليس بالعقل، الدين بالنص؛ قال الله وقال رسول الله ﷺ.

وقال سهل بن حنيف - وهو أحد الصحابة رضي الله عنهم -: (اتَّهَمُوا الرَّأْيَ، فَلَقَدْ رَأَيْتَنِي يَوْمَ أَبِي جَنْدَلٍ وَلَوْ أَسْتَطِيعُ أَنْ أُرَدَّ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَمْرُهُ لَرَدَدْتُ، وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ...) (3) انظر ما يقول الصحابي الجليل معلماً: (اتهموا الرأي)، لا تحسن الظن بعقلك، اجعل عقلك مكان تهمة، أي: أسئ الظن بعقلك وأحسن الظن بشرع ربك.

قال: (اتهموا الرأي؛ فلقد رأيتني يوم أبي جندل ولو أستطيع أن أُرَدَّ على رسول الله ﷺ أمره لرددته والله ورسوله أعلم)، يعني الله سبحانه وتعالى الذي شرع هذا الشرع والذي أوحى به إلى نبيه ﷺ أعلم بالأصلح وبالمناسب وبالذي تقتضيه الحكمة، فشرع الله سبحانه وتعالى شرعه بناءً على علمه وعلى حكمته تبارك وتعالى، فلا يَحْسُنُ بك أن تردّ شرع الله تبارك وتعالى بعقلك؛ هذه وصية سهل بن حنيف الصحابي الجليل.

وقال الحسن البصري: (اتَّهَمُوا أَهْوَاءَكُمْ وَرَأْيَكُمْ عَلَى دِينِ اللَّهِ، وَانْتَصِحُوا كِتَابَ اللَّهِ عَلَى أَنْفُسِكُمْ) (4)

1 - أخرجه البخاري (2697)، ومسلم (1718) عن عائشة رضي الله عنها، واللفظ لمسلم، وعلقه البخاري بلفظ مسلم.

2 - أخرجه أحمد (737)، وأبو داود (162).

3 - أخرجه البخاري (4189)، ومسلم (1785).

4 - أخرجه ابن بطة في "الإبانة الكبرى" (283).

إذا كان لك هوى في شيء تميل نفسك إليه يخالف شرع الله فاتهم نفسك وأحسن الظن بشرع ربك، وكذلك افعل برأيك، والهوى: هو ما تحبّه النفس وما تشتهيّه، فإذا كان لأنفسكم هوى؛ (اتَّهِمُوا أَهْوَاءَكُمْ وَرَأْيَكُمْ عَلَى دِينِ اللَّهِ، وَانْتَصِحُوا كِتَابَ اللَّهِ عَلَى أَنْفُسِكُمْ)، أي: اقبلوه ناصحاً لكم. ففي هذا تعليم وتربية من الحسن البصري رضي الله عنه لنا أن عقولنا إذا ظنت في لحظة من اللحظات أن ما ورد في الشرع غير مناسب: أن نسيء الظن بعقولنا وأن نحسن الظن بشرع ربنا تبارك وتعالى، هذا ما دلت عليه الأدلة وهذا ما ربّانا عليه علماء الأمة الذين تجرّدوا للحق ولم يكونوا متّبعين لأهوائهم.

وقال محمد بن سيرين: (كَانُوا يَقُولُونَ: مَا دَامَ عَلَى الْأَثَرِ فَهُوَ عَلَى الطَّرِيقِ) ⁽¹⁾

وإن اتبع آراء الرجال؛ فقد انحرف عن الطريق ولا بد، لا بد لمن جعل رأيه وعقله مقدماً أن ينحرف عن الطريق وأن يترك العمل بشرع ربه تبارك وتعالى.

وقال الإمام الأوزاعي رحمه الله، وهو معروف؛ من أتباع التابعين، إمام بلاد الشام في زمنه، وكان له مذهب، ومذهبه هو المذهب السائد في بلاد الشام في وقته قبل أن يسودّ مذهب الشافعي، وكان إماماً شهيراً معروفاً حتى قال عبد الرحمن بن مهدي: (كان الأوزاعي والفزاري إمامين في السنة، إذا رأيت الشامي يذكر الأوزاعي والفزاري فاطمئن إليه كان هؤلاء أئمة في السنة) ⁽²⁾؛ لصلابته في السنة ومعرفته بها ودعوته إليها ومحاربة أعدائها، يقول لنا معلماً مربياً رحمه الله: (عَلَيْكَ بِآثَارِ مَنْ سَلَفَ وَإِيَّاكَ وَآرَاءَ الرِّجَالِ وَإِنْ زَخَرَفُوهَا بِالْقَوْلِ فَإِنَّ الْأَمْرَ يَنْجَلِي حِينَ يَنْجَلِي وَأَنْتَ مِنْهُ عَلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ) ⁽³⁾، وفي رواية: (وَإِنْ رَفَضَكَ النَّاسُ) ⁽⁴⁾ وهي تتمّة مهمّة، عليك بآراء من سلف وإن رفضك الناس، وإن رأيت نفسك غريباً بينهم فتمسّك بآثار من سلف ولا تبال بانحراف من انحرف.

¹ - أخرجه الدرامي في "سننه" (143)، والخلال في "السنة" (1102)، واللالكائي في "شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة" (109)، وابن عبد البر في "جامع بيان العلم وفضله" (2199)، وغيرهم.

² - حلية الأولياء (8/ 254).

³ - "ذم الكلام وأهله" (317).

⁴ - "رسالة السجزي إلى أهل زبيد" (ص 368).

قال: (عَلَيْكَ بَأَثَرٌ مِنْ سَلَفٍ وَإِنْ رَفَضَكَ النَّاسُ وَإِيَّاكَ وَآرَاءَ الرِّجَالِ)، يعني: احذر آراء الرجال (وَإِنْ زَخَرَفُوهُ بِالْقَوْلِ) وَإِنْ كَانَ الرَّجُلُ صَاحِبَ لِسَانٍ مَعْسُولٍ (مَلْسَنٍ)، أَوْتِيَ طَلَاقَةً فِي الْكَلَامِ، تَجْدُهُ يَلُوتُ لَكَ الْكَلَامُ وَيَزَخَرِفُهُ حَتَّى إِنْ الشَّخْصَ الَّذِي لَا عِلْمَ عِنْدَهُ يَذْهَبُ لُبُّهُ مَعَهُ؛ فَانْتَبِهْ مِنْ أَمْثَالِ هَؤُلَاءِ.

قال: (وَإِيَّاكَ وَآرَاءَ الرِّجَالِ وَإِنْ زَخَرَفُوهُ بِالْقَوْلِ فَإِنَّ الْأَمْرَ يَنْجَلِي وَأَنْتَ مِنْهُ عَلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ) يعني: إِذَا التَزَمْتَ بِهَذِهِ النَّصِيحَةِ الَّتِي قَلَّمْتُهَا لَكَ فَسَتَبْقَى عَلَى الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ حَتَّى إِنْ مَرَّتْ بِكَ فِتْنٌ؛ فَسَيَنْجَلِي الْأَمْرُ وَيَتَّضِحُ وَأَنْتَ مَا زِلْتَ عَلَى الطَّرِيقِ وَلَمْ تَخَالَفْ.

وقال أيضاً رحمه الله: (اصْبِرْ نَفْسَكَ عَلَى السُّنَّةِ وَقِفْ حَيْثُ وَقَفَ الْقَوْمُ وَقُلْ فِيمَا قَالُوا وَكُفْ عَمَّا كَفُّوا وَاسْلُكْ سَبِيلَ سَلَفِكَ الصَّالِحِ فَإِنَّهُ يَسْعَكَ مَا يَسْعَهُمْ)⁽¹⁾

هذه نصائح ذهبية من أناس قد فهموا دين الله بحق وأخذوا الدين عن أئمتهم فاسمعوا واتبعوا. قال: (اصبر نفسك على السنة)، ستجد أسباباً كثيرة للانحراف عنها، فتحتاج إلى صبر، تحتاج أن تجاهد نفسك حتى تبقى على هذه الطريق، (وقف حيث وقف القوم)، من هم القوم؟ هم الصحابة ومن اتبعهم بإحسان، قف حيث وقفوا. كيف أقف حيث وقفوا؟

إِنْ قَالُوا قُلْتَ وَإِنْ سَكَتُوا سَكَتَ؛ هَكَذَا تَقِفُ حَيْثُ وَقَفَ الْقَوْمُ. وقوله: (وقل فيما قالوا) هنا فسّر لك كلامه، إِنْ قَالُوا قَوْلًا فَقُلْهُ، وَإِنْ سَكَتُوا عَنْهُ فَاسْكُتْ، (وَكُفْ عَمَّا كَفُّوا عَنْهُ)، تربية عظيمة، (واسلك سبيل سلفك الصالح) امش على نفس الطريق التي مشوا عليها، وقد تقدّم في مسألة الاتباع ما يكفي من الأدلة. (فإنه يسعك ما وسعهم) كلمة جميلة.

يذكرون مناظرة بين أحد علماء السنة ورأس من رؤوس الجهمية⁽²⁾، حيث دعا ذاك الجهمي إلى القول بخلق القرآن فجاءه السيّد، فقال له: أسألك: هل ما تدعو إليه عرفه النبي ﷺ أم لم يعرفه؟

¹ - "ذم الكلام وأهله" (117/5)

² - "تاريخ بغداد"

فما عنده جواب إلا أحد أمرين:

- إما أن يقول عرفه

- أو أن يقول لم يعرفه،

وهو على كلا الحالين قد خُصِمَ،

فقال: لم يعرفه، فقال: يا جاهل! أمرٌ لم يعرفه النبي ﷺ وعرفته أنت؟!

فقال: إني أرجع عن ذلك وأقول: عرفه،

قال: جيد، وَسِعَهُ أن يسكت عنه أم لم يسعه؟ طبعاً لا كلام في هذا منقول عن النبي ﷺ،
سيقول: وَسِعَهُ،

قال: جيد، عرفه الصحابة أم لم يعرفوه؟ قال: عرفوه،

قال: وَسِعَهُمْ أن يسكتوا عنه أم لم يسعهم؟ قال: وسعهم،

قال: فلا وَسَّعَ الله سبحانه وتعالى على من لم يسعه ما وسع النبي ﷺ وأصحابه، فخُصِمَ الرجل
ولم يبقَ له كلام.

ألا يسعك أنت ما وسع النبي ﷺ وأصحابه؟ نعم يسعنا؛ لذلك قال الإمام الأوزاعي رحمه الله:
(فإنه يسعك ما وسعهم)، يعني: تقول بما قالوا وتكف عما كفوا.

نصائح ذهبية؛ فلا تأتِ بشيءٍ جديدٍ من عندك.

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: (اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كُفِيتُمْ) ⁽¹⁾.

أي: كفاكم السلف أمر البيان والإيضاح والتفسير لشريعة الله تبارك وتعالى، وبيّنوا لكم الأمور

كاملة، وما مات النبي ﷺ حتى أكمل الله به الدين { الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ

نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا }، وبلغ ﷺ ذلك كله وأشهد أصحابه على البلاغ؛ فقال: "هل

بلغت؟" قالوا: نعم، قال: "اللهم اشهد" ⁽²⁾.

¹ - أخرجه ابن بطة في "الإبانة" (174)، والبيهقي في "شعب الإيمان" (2024)، والدارمي في "السنن" (211) وغيرهم.

² - أخرجه البخاري (1741)، ومسلم (1679) من حديث أبي بكر رضي الله عنه، وأخرجه البخاري أيضاً (1742) من حديث ابن عمر رضي الله عنه وأصله عند مسلم (66).

وعند مسلم (221) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه، وعند مسلم من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه (1218).

وقال سلمان الفارسي رضي الله عنه عندما جادلته اليهود؛ قال: (نعم علمنا النبي ﷺ كل شيء حتى الخراءة)⁽¹⁾

أي: حتى كيفية قضاء الحاجة علمناه النبي ﷺ، فما فوّت علينا شيئاً. ويقول أبو ذر رضي الله عنه: (لَقَدْ تَرَكْنَا مُحَمَّدٌ ﷺ، وَمَا يُحَرِّكُ طَائِرٌ جَنَاحَيْهِ فِي السَّمَاءِ إِلَّا أَذْكَرْنَا مِنْهُ عِلْمًا)⁽²⁾

فالنبي ﷺ قد بلغ الرسالة كما أمر الله تبارك وتعالى، ولم يقبضه الله سبحانه وتعالى حتى أتم به الرسالة، والصحابة الكرام قد أخذوا عن النبي ﷺ، وكانوا هم أذكي القوم وأعلم الناس في وقتهم، وكانوا هم من شاهد التنزيل، وعلموا التأويل، وعرفوا كيف نزلت الآيات، وكيف خرجت من النبي ﷺ، وما مناسباتها، وكانت لغتهم سليقة من غير تكلف، فإذا كانت المسألة مسألة نافعة في الدين وفي الشرع فهم أولى بالقول بها ولم يسكتوا عنها؛ فلذلك يسعنا ما وسعهم.

قال: (لم يوضع على عقول الرجال وآرائهم، وعلمه عند الله وعند رسوله)،

علم الشرع والدين عند الله وعند رسوله ﷺ، وكلّهم قد علمه الله تبارك وتعالى لنبيه ﷺ، وبلغه النبي ﷺ، وأمر الله تبارك وتعالى باتّباع النبي ﷺ والأخذ عنه؛ فقال: {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا}⁽³⁾، وقال: {وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ}⁽⁴⁾، وقال: {لِيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}⁽⁵⁾، و: {وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا}⁽⁶⁾،

والآيات في هذا المعنى كثيرة تدلنا على وجوب اتباع النبي ﷺ، وتصديقه فيما أخبر، والعمل بما جاء به من الشرع، والذين خالفوا هذا الأصل الذي قرّره المؤلف هنا- وهو أصل أخذ الشرع والدين من كتاب الله ومن سنة سيد المرسلين ﷺ - هم طائفتان:

¹ - أخرجه مسلم (262).

² - أخرجه أحمد (21361)، وابن حبان (65).

³ - [الحشر: 7]

⁴ - [المائدة: 92]

⁵ - [النور: 63]

⁶ - [النساء: 115]

• طائفة المتكلمين في مسائل العقيدة، أعملوا عقولهم في شرع الله، فقدّموا العقل على النقل، هذا أصلٌ عندهم،

والمتكلمون جميعاً يتفقون على هذا الأصل: تقديم العقل على النقل، فأفسدوا دين الله، وردوا شرعه بعقولهم الصغيرة القاصرة، كل هذه النصائح السلفية التي سمعتموها وغيرها كثير؛ ضربوا بها عَرَضَ الحائط، وظنّوا في أنفسهم خيراً وأحسنوا الظن بعقولهم وأسأؤوا الظن بشرع الله تبارك وتعالى؛ فقلبوا وعكسوا؛ فما أثبت الله لنفسه نفوه، وما نفاه عن نفسه أثبتوه، وما سكت عنه تكلموا فيه؛ هكذا هم المتكلمون، أصحاب الرأي الذين يتكلمون من منطلق عقولهم ويحكمون على الله تبارك وتعالى بآرائهم وأفكارهم، وهذه طائفة قد ضلت في مسائل الاعتقاد؛ الذين قالوا بأن القرآن مخلوق ونفوا عن الله سبحانه وتعالى الصفات التي أثبتها لنفسه، الكلام في هذا سيطول وسيأتي إن شاء الله.

• الطائفة الثانية: في الفقه؛ أخذوا بالرأي وبالعقل وبالقياس، وقدّموا القياس على شرع الله تبارك وتعالى فأفسدوا دين الله من الجهة الثانية.

وربما يقول قائل: القياس في أصل الشرع مقبول، وقد قاس بعض الصحابة؟ كلام صحيح، وقع القياس من أبي بكر، ووقع القياس من ابن عمر وأقرّه عمر، ووقع من غيرهم من صحابة رسول الله ﷺ، كما في قصة القوم الذين منعوا الزكاة، فأراد أبو بكر أن يقاتلهم، فقال لعمر: (لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة)⁽¹⁾، فقاس الزكاة على الصلاة وألحقها بها في الحكم، وكذلك عبد الله بن عمر لما أخبرته أخته حفصة أن أباه لا يريد أن يستخلف من بعده، قال: (والله لأكلمنه في ذلك)، فذهب وكلّم عمر، فقال: (سمعت أنك لا تريد أن تستخلف، ولو أنك تركت راعياً يرعى غنماً فتركها وجاء إليك رأييت أنه مفرط؟ فالرعية أولى) فأقرّه عمر في بداية الأمر، قال: (فوافقني على رأيي)، ثم اعترض عمر رضي الله عنه بعد ذلك عليه بالأثر، فقال: (إن أستخلف فقد استخلف أبو بكر، وإن لا أستخلف فلم يستخلف النبي ﷺ) قال ابن عمر: (ووالله لما ذكر النبي ﷺ علمت أنه لن يستخلف)⁽²⁾؛ لأن النبي ﷺ لم يستخلف، مع أنهم يعلمون بالاتفاق

¹- أخرجه البخاري (7248) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وأصله عند مسلم (21).

²- أخرجه البخاري (7218)، ومسلم (1823) واللفظ لمسلم

أن هذا جائز وهذا جائز، لكن لما جاء ذكر النبي ﷺ في الأمر انتهى؛ وهذا من انقياد السلف لسنة النبي ﷺ وعدم تقديم قول أي أحد عليها.

الشاهد هنا: أن القياس قد حصل وقُبِلَ لولا وجود الأثر عند عمر رضي الله عنه. إذاً من هاهنا نستطيع أن نعرف الفرق بين الذين استعملوا الرأي وكان استعمالهم له صائباً، والذين استعملوا الرأي وكان استعمالهم له باطلاً؛ والفرق: هو أن الرأي كما قال الإمام الشافعي عندما سأله الإمام أحمد رحمه الله عن القياس؛ فقال له الإمام الشافعي: (عند الضرورة)، يعني: في الضروريات فقط، يعني: تأتيك مسألة ولا تجد لها أثراً عندئذٍ تعمل بالقياس، هاهنا يستعمل القياس، أما إذا جاءك الأثر وأخذت بالرأي فهنا تدخل في الذم. يبين لنا ذلك بوضوح وجلاء ما قاله الإمام الأوزاعي رحمه الله؛ قال: (مَا نَقَمْنَا عَلَى أَبِي حَنِيفَةَ أَنَّهُ كَانَ يَرَى، كُلُّنَا يَرَى؛ وَلَكِنَّهُ كَانَ إِذَا جَاءَهُ النَّصُّ تَرَكَه) ⁽¹⁾، إذاً فالمحذور هو أن ترد النصوص الشرعية بالعقل والرأي؛ ولذلك تجد عند بعض أهل الرأي قواعد هي طاغوتية، يقدمون هذه القواعد ويعملونها في رد النصوص الشرعية، قاعدة: (على خلاف القياس)؛ قاعدة عند بعض أهل الرأي يتبنونها، تسمعونها في أصول الفقه عند دراستكم له، فإذا جاءتهم النصوص الشرعية وخالفت القياس عندهم؛ ردوا النص الشرعي وأخذوا بالقياس؛ وهذا هو المذموم عند السلف رضي الله عنهم، هذه ما خالفت القياس إلا لأن قياسك فاسد، انظر كيف عكسوا! أحسنوا الظن بأرائهم وعقولهم وأسأؤوا الظن بالشرع، والواجب عليك أن تعكس ما هم عليه؛ فتحسن الظن بشرع الله وتسيء الظن برأيك وعقلك؛ لأنه شرع جاء من عند حكيم عليم، وعقلك وإدراكك لا يصل إلى معرفة جميع حكم الله تبارك وتعالى، فالواجب أن تدعن وتخضع لأمر الله تبارك وتعالى عندما يأتيك.

وهذه القاعدة التي ذكرناها قد فنّدها ابن القيم رحمه الله في كتابه الفذّ النافع "إعلام الموقعين"، وكذلك ابن تيمية رحمه الله له كلام متفرق في "مجموع الفتاوى" في نسف هذه القاعدة والرد على كل صورة من الصور التي قالوا بأنها مخالفة للقياس.

¹ - أخرجه الهروي في "ذم الكلام وأهله" (371)

قال رحمه الله: **(فلا تتبع شيئاً بهواك):**

لا تمل مع هواك وتترك شرع ربك تبارك وتعالى؛ قد حذر الله تبارك وتعالى في كتابه من اتباع الهوى؛ فاتباع الهوى يصدك عن الله تبارك وتعالى وعن شرعه ودينه، قال تعالى: **{وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ}**⁽¹⁾، وقال: **{وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ (40) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ}**⁽²⁾، وقال: **{أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ}**⁽³⁾، فالهوى مُرِدٌّ يضَيِّع صاحبه ويدفعه إلى ترك شرع الله تبارك وتعالى والإعراض عنه.

قال: **(فلا تتبع شيئاً بهواك، فتمرق من الدين، فتخرج من الإسلام)،**

اتباعك لهواك يؤدي بك إلى هذه النتيجة حتى إنك تقع في أنواع من الكفریات وتخرج من دين الله تبارك وتعالى.

قال: **(فإنه لا حجة لك عندئذٍ)،**

لا حجة لك عند الله تبارك وتعالى عندما تتبع هواك وتترك الحق؛ لماذا؟

قال: **(فقد بين رسول الله ﷺ لأئمة السنة، وأوضحها لأصحابه)،**

المقصود بالسنة هنا: الشريعة، وقد تقدّم معنا أن السنة تأتي على عدة معانٍ ومنها الشريعة، وهذا المعنى هو المراد هنا، بين رسول الله ﷺ لأئمة السنة وأوضحها لأصحابه.

أوضحها لأصحابه، وأصحابه أوضحوها لنا؛ إذاً يجب علينا أن نتبع هدي النبي ﷺ وهدي أصحابه؛ لذلك قال عليه الصلاة والسلام: "عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عضوا عليها بالنواجذ"⁽⁴⁾.

قال: **(وهم الجماعة) من هم؟ هم الصحابة.**

¹ -[ص:26]

² - [النازعات:40-41]

³ - [الجاثية:23]

⁴ - أخرجه أحمد (17142)، وأبو داود (4607)، والترمذي (2676) عن العرابض بن سارية رضي الله عنه.

أي جماعة؟ التي قال فيها النبي ﷺ: "ستفترق هذه الأمة إلى ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة، قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: الجماعة"(1)،

إذاً الجماعة هي طريق الحق، وطريق الحق هي طريق الصحابة رضي الله عنهم، وقد فسّرنا ذلك فيما تقدّم في قوله تعالى: { وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ } (2)،

إذاً فقد سار الصحابة على طريق وصلوا به إلى رضا الله سبحانه وتعالى وإلى دخول الجنة، وطريق الحق واحد كما قدّمنا، إذاً فطريق الجماعة هو طريق الحق، والجماعة هم أصحاب النبي ﷺ كما في رواية ثانية في الحديث الذي ذكرنا، قال: "ما أنا عليه وأصحابي". قال: (وهم السواد الأعظم)،

جاء في رواية في نفس الحديث: قال: "الجماعة"، وفي رواية: "ما أنا عليه وأصحابي"، وفي رواية ثالثة: "السواد الأعظم"(3)، ولكن هذه الرواية الثالثة ضعيفة لا تصح.

قال: (والسواد الأعظم: الحق وأهله)، كلها بمعنى واحد، ويفسّر بعضها بعضاً، ما المراد بالسواد الأعظم؟ الحق وأهله؛ بغض النظر عن الكثرة، فلا تنظر إلى الكثرة؛ فأكثر ما وردت الكثرة في كتاب الله مذمومة، قد ذمّها الله تبارك وتعالى، فالكثرة ليست بشيء، يقول النبي ﷺ: "يأتي النبي وليس معه أحد" أي: يوم القيامة يأتي النبي وليس معه أحد، "والنبي ومعه الرجل والرجلان"، إذاً الكثرة ليست بشيء، هذا النبي الذي جاء وليس معه أحد كانت الكثرة ضده، والنبي الذي معه الرجل والرجلان كانت الكثرة ضده؛ وهكذا.

قال: (فمن خالف أصحاب رسول الله ﷺ في شيء من أمر الدين فقد كفر)

في شيء من أمر الدين، ولو في شيء واحد.

ومخالفة أصحاب النبي ﷺ في أمر من أمور الدين تختلف؛ منه ما هو فسق، ومنه ما هو بدعة ضلالة، ومنه ما هو كفر، ومنه ما هو ترك للمستحب والأفضل؛ فيختلف من مسألة إلى

¹ - أخرجه أحمد (16937)، وأبو داود (4597) عن معاوية رضي الله عنه.

² - [التوبة: 100]

³ - أخرجه ابن أبي شيبة في "المصنف" (37892)، والبيهقي في "سننه" (16783)، وابن أبي عاصم في "السنة" (69) عن أبي أمامة رضي الله عنه.

مسألة، وحمل بعض أهل العلم كلمة: (كَفَرَ) على الكفر الأكبر أو الكفر الأصغر، والمراد به المخالفة المذمومة؛ من خالفهم في أمر من أمور الدين فإما أن يكون كافراً كفوفاً مخرجاً من ملة الإسلام إذا خالفهم في أمر مكفر، أو يكون كفراً دون كفر إن خالفهم في أمر غير مكفر؛ لإجماع علماء الإسلام على أن الأمور التي فيها مخالفة لشرع الله منها ما هو كفر ومنها ما هو فسق ومنها ما هو بدعة .. إلى آخره.

قال المؤلف رحمه الله: **[5] وَاَعْلَمُ أَنَّ النَّاسَ لَمْ يَبْتَدِعُوا بِدْعَةً قَطُّ؛ حَتَّى تَرَكُوا مِنَ السُّنَّةِ مِثْلَهَا، فَاحْذَرِ الْمُحَرَّمَاتِ⁽¹⁾ مِنَ الْأُمُورِ؛ فَإِنَّ كُلَّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَالضَّلَالَةُ وَأَهْلُهَا فِي النَّارِ.**

قال: **(لم يبتدعوا بدعة قط)** عرفنا ما هي البدعة في دروسنا الماضية، **(حتى تركوا من السنة مثلها)**.

أي: ما يحدثون شيئاً في أمر الدين إلا ويتركون في مقابله من أمور السنة، حتى تنقلب الأمور فتصير السنن بدعاً، والبدع سنناً، ويصير دين الله تبارك وتعالى ديناً مغيراً مبدلاً. قال حسان بن عطية- وهو من علماء التابعين، من علماء أهل الشام-: **(مَا ابْتَدَعَ قَوْمٌ فِي دِينِهِمْ إِلَّا نَزَعَ اللَّهُ مِنْ سُنَّتِهِمْ مِثْلَهَا ثُمَّ لَا يَعِيدُ إِلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ)⁽²⁾.**

وروي معنى ذلك عن ابن عباس وعن أبي إدريس الخولاني، وروي معناه عن النبي ﷺ مرفوعاً، والذي يصح من ذلك كله هو أثر حسان بن عطية رحمهم الله جميعاً. المهم أن البدعة من شؤمها وسوءها أن المرء إذا وقع فيها ترك من السنة ما هو مثلها.

(فاحذرا المحرمات من الأمور)

يعني: ابتعد عما حرم الله من البدع وغيرها؛ فلا خير فيها لك لا في الدنيا ولا في الآخرة وإن ظهر لك أن فيها خيراً.

¹ - في نسخ: (المحدثات)

² - أخرجه الدارمي في "سننه" (99)

قال: (فإن كل محدثة بدعة)

السبب الذي أوصيك بأن تترك الأمور المحرمة والابتعاد عنها: أن المحدثات بدع، (وكل بدعة ضلالة) يعني: تضلك عن طريق الحق وتبعدك عنه، وهذا بمعنى ما جاء في "صحيح مسلم" من حديث جابر عن النبي ﷺ: أنه قال: "وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة"⁽¹⁾، وهذا لفظ عام يشمل جميع البدع كما قدمنا.

وورد أيضاً في حديث العرياض بن سارية⁽²⁾؛ قال: (وعظنا النبي ﷺ موعظة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون فقلنا يا رسول الله كأنها موعظة مودّع فأوصنا، فقال ﷺ: "أوصيكم بتقوى الله؛ التي ضعفت في نفوس الكثير من الناس اليوم، أين هم من وصية النبي ﷺ؟ تقوى الله أن تجعل بينك وبين عذاب الله وقاية، ما هي هذه الوقاية التي تقيك من عذاب الله تبارك وتعالى؟ هي العمل بطاعة الله واجتناب ما نهك الله تبارك وتعالى عنه، هذه هي التي تقيك من عذاب الله تبارك وتعالى).

قال النبي ﷺ "كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى"، ومن أبى أين يدخل؟ يدخل النار. قال: "كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى"، قالوا: ومن يأبى يا رسول الله؟ - أمرٌ غريبٌ - قال: "من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى"⁽³⁾.

قال: "أوصيكم بتقوى الله؛ هذه وصية النبي ﷺ؛ فاجعلوها بين أعينكم، "والسمع والطاعة" وصية النبي ﷺ قبل موته بالسمع والطاعة؛ لأن أكثر الفساد الذي سينزل بهذه الأمة من هذا القبيل، الفتن التي ستمر على هذه الأمة من هذه المسألة؛ من عدم السمع والطاعة والخروج على الحاكم، وأنتم ترون: أول فتنة وقعت في هذه الأمة قتل عثمان رضي الله عنه، وكانت بسبب الخروج على الحاكم وعدم السمع والطاعة،، ثم جرّت؛ إذا وضع السيف في الأمة لا يُرْفَع إلى قيام الساعة؛ لذلك حذر النبي ﷺ من الخوارج وأفعال الخوارج وأوصى بقتلهم أين ما وُجدوا؛ لِعِظَمِ فسادهم في الأرض.

¹ - أصل حديث جابر رضي الله عنه عند مسلم بلفظ: "وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة"، واللفظ الوارد أخرجه النسائي (1578).

² - أخرجه أحمد (17142)، وأبو داود (4607)، والترمذي (2676).

³ - أخرجه البخاري (7280) عن أبي هريرة رضي الله عنه.



فقال: "أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة"- أي للحاكم المسلم- "وإن تأمر عليكم عبد حبشي"، والعبد الحبشي لا يكون حاكماً شرعياً؛ لأنه مملوك، والمملوك ليست له سلطة على نفسه فكيف تكون له سلطة على غيره؟ لكن مع ذلك إن حكم وجب عليكم أن تسمعوا وتطيعوا؛ لماذا جاءت هذه الوصية؟

قال: "فإنه من يعيش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً"؛ لهذا السبب: "من يعيش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً"، وتضارباً وفاقاً وجماعاتٍ وطوائفَ وأفكاراً مختلفة، وكلما تباعد الزمن عن زمن النبوة كلما كثر هذا الاختلاف وكثرت الآراء والأفكار وتشعبت؛ لأن الأهواء تزيد والجهل يزيد والتقوى تضعف والعلم يقل؛ هكذا أخبر النبي ﷺ، وإذا حصلت هذه الأمور انتشر الفساد وكثرت الفتن؛ "فسيرى اختلافاً كثيراً".

كيف النجاة من هذه الفتن؟

قال: "فعلیکم بسنتي"، ليس لكم إلا طريق واحد: الزموا سنة النبي ﷺ، يعني الزموا شريعته وهديه، و"سنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي"؛ أبو بكر وعمر وعثمان وعلي، هؤلاء هم الخلفاء الراشدون.

من أين جاء هذا؟

من حديث سفينة: "الْخِلَافَةُ بَعْدِي ثَلَاثُونَ سَنَةً"⁽¹⁾، فكانت هذه الثلاثون في خلافة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي.

قال: "تمسّكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ"، انظر الألفاظ، لشدة تفلّت الناس عنها وانفلاتها منهم يوصيهم بشدة التمسّك والعضّ عليها بالنواجذ، إذا أردت أن توصي أحداً بالتمسّك بالشيء تقول له: أمسك به بيدك وأسنانك، هذا المعنى، نفس العبارة لكن بالألفاظ عربية أصيلة: "عضوا عليها بالنواجذ" وهي الأسنان.

¹ أخرجه أحمد (21919)، وأبو داود (4646)، والترمذي (2226)، وغيرهم بألفاظ متقاربة، واللفظ الوارد أخرجه عبد الله بن أحمد في "السنة" (1405).



قال: "وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار"، أوصى بماذا؟

بالتمسك بالسنة ومنهج السلف الصالح رضي الله عنهم، وحذر مما يضاد ذلك ويخالفه؛ وهي البدعة والضلالة، هكذا هي الدعوة إلى الله: تدعو إلى الحق وتحذر من الباطل، وإذا تأملت شرع الله وجدته يدور على ثلاث في مقابل ثلاث:

يأمر الله سبحانه وتعالى بالتوحيد وينهى عن الشرك.

يأمر بالسنة وينهى عن البدعة.

يأمر بالطاعة وينهى عن المعصية.

فقط، هذا هو شرع الله، هذا دينه، وهذا ما ندعو إليه، فمن رأيته يدعو إلى هذا؛ فاعلم أنه داعية حق، من دعا إلى جماعة أو إلى حزب أو إلى طائفة أو إلى مسألة يدور عليها؛ يوالي ويعادي، ويترك بقية شرع الله ودينه؛ فاعرف أنه داعية ضلالة.

قال المؤلف: **(والضلالة وأهلها في النار)**

"وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار"، وليست الضلالة فقط؛ بل الضلالة ومرتكب الضلالة في النار، فهذا الحديث جاء للتحديد والتخويف من هذا الفعل، فمن ارتكب البدعة؛ فقد عرض نفسه لعقاب الله تبارك وتعالى، فالبدع كبائر من كبائر الذنوب.

قال المؤلف رحمه الله: **([6] واحذر صغار المحدثات من الأمور؛ فإن صغار البدع تعود حتى تصير كباراً، وكذلك كل بدعة أحدثت في هذه الأمة؛ كان أولها صغيراً يشبه الحق، فاغترّ بذلك من دخل فيها، ثم لم يستطع الخروج منها، فعظمت وصارت ديناً يُدانُ به، فخالف الصراط المستقيم، فخرج من الإسلام)**

يعني لا تحقر شيئاً من البدع، لا تقل: بدعة صغيرة وبدعة كبيرة.

انظروا إلى الصوفية، وانظروا إلى الرافضة كيف بدأ شأنهم؟

الصوفية بدأوا بزيادة في نسبة العبادة، تزهدوا زائداً عن الحد الشرعي الذي كان عليه النبي ﷺ، ثم تطورت بهم الأحوال إلى أن بدلوا شرع الله ودينه تماماً، لا تجد عندهم من الحقيقة إلا

الاسم؛ عبدوا غير الله، وعبدوا الله بما لم يشرع، وجعلوا الطاعة معصية، والمعصية طاعة؛ هؤلاء هم.

انظروا إلى الرافضة كيف بدأ شأنهم بتعظيم عليّ وتقديره أكثر مما ينبغي؛ قدّموه على عثمان، ثم قدّموه على أبي بكر وعمر، ثم ماذا؟ طعنوا في عثمان، طعنوا في أبي بكر وعمر، كفروا بأبي بكر وعمر، رموا عائشة بالزنا، طعنوا في حفصة، إلى أن وصل بهم الأمر إلى ما ترون الآن؛ دينٌ جديدٌ، هذه نتائج البدع، فعندما يُقرُّ أصحابها عليها ويُسكّت عنها؛ يؤدي الأمر إلى ما ترون. فإذا أردت أن تعرف فضل من يقوم ويصرخ بصاحب البدعة ويحذّر منه فانظر إلى هؤلاء القوم تعرف كم لهذا الرجل من فضل على المسلمين، عندما يحذّرهم من البدع والضلال ويبين لهم شرع الله الحق حتى يبقى شرع الله صافياً نقيّاً، لا تهتمّ بالرجال؛ فالرجال يموتون ويأتي رجال جدد؛ وهكذا، المهم أن يبقى شرع الله صافياً نقيّاً واضحاً، هذا المراد وإلا ضاع الشرع كما ضاع عند الرافضة والصوفية.

قال: (فإن صغار البدع تعود حتى تصير كباراً، وكذلك كل بدعة أُحدثت في هذه الأمة، كان أولها صغيراً يشبه الحق)،

مشتبهاً، ربما وربما، حتى يكبر ويعظم إلى أن يصل إلى ما سمعتم مثلاً عليه،
(فاغترّ بذلك من دخل فيها) اغتر بذلك؛ بشبهها بالحق، اغتر بذلك من دخل في هذه البدع، فما من داعية بدعة وضلالة إلا ومعه شيء من الحق يلبّس على الناس به، ليس من أحد يريد أن يبيعك بضاعة، يقول لك: هذه بضاعتي مُزجاة تعال وخذها؛ بل يلوّنها ويزوّقها ويحسنّها في الظاهر - أصحاب المطاعم يعرفون هذا-، ثم بعد ذلك يعرضها لك بزينتها وحلاوتها ويخفي ما فيها من ضلال، لو أتيت الآن عند هؤلاء الأحباش لا يُظهرون لك سوءهم وما عندهم من ضلال، وغيرهم أيضاً من الجماعات، يظهرون لك أحسن ما عندهم؛ ما يوافق السنة حتى تقبله نفسك وترضى عنه، ثم تُحسن الظن به شيئاً فشيئاً حتى يتمكّن من قلبك، ثم بعد ذلك يرمي لك السموم فتتقبّلها؛ لأنه قد أعطاك مضادات السموم من البداية لتأخذ وأنت مطمئن، كما قال أحدهم لما أخرجوا ما عنده من ضلالات لمن حوله؛ فقال: "لا تخف، أنا تلاميذي كلهم أعطيتهم

مضادات"، وهذا كلام صحيح، وهكذا يفعلون.

قال: **(وكذلك كل بدعة أحدثت في هذه الأمة، كان أولها صغيراً يشبه الحق، فاغتر بذلك من دخل فيها، ثم لم يستطع الخروج منها)**

انتهى؛ وقع في الشباك، انتهى أمره، ما الذي سيخرجه بعد ذلك؛ لذلك قال من قال من السلف: (إن من سعادة الحدث والأعجمي أن يوفقهما الله لعالم من أهل السنة)⁽¹⁾ لماذا؟ لأنه إذا وقع بين يدي المبتدع انتهى أمره إلا أن يشاء الله سبحانه وتعالى له أن يخلصه.

قال: **(فعظمت وصارت ديناً يُدان بها)**

صارت عبادة يُتقربُ بها إلى الله، فإذا سكت عن مثل هذا ماذا يحصل؟ يتغير دين الله وشرعه بالكامل، فمن أعظم الواجبات وخصوصاً في زمننا هذا بيان أحوال الجماعات والرجال؛ حتى يتبين الحق من الباطل ويتضح الأمر،

وانظروا هذا الكلام: يبين لك المؤلف أن أهل البدع لا يأتونك بصورتهم الواضحة فكن حذراً، فلا تأت بعد أن يحذرك عالم من العلماء من شخص عُرف بالبدعة والضلالة عنده تقول: والله لا أرى فيه إلا الخير؛ مثلك لا يكتشف ذلك، عندما تتعلم وتدرس وتفهم ستعرف حقائق الأمور، فمثلك لا يدري عن هذه الأمور.

بعض الدعاة يكون عنده ضلالات واضحة تأتي وتكلم الناس تقول له: احذر من فلان، فيه كذا وكذا، يقول لك: والله أنا ما سمعت له هذا الكلام.

أنت لست أهلاً لأن تحكم عليه، لا بمستواك العلمي، ولا باطلاعك الذي تطلع به، ذاك رجل متخصص فما ينبغي أن ترد كلامه بمثل هذه الفلسفة فكونوا حذرين بارك الله فيكم من تلون أهل البدع وكذبهم وغشهم.

أذكر لكم موقفاً جليلاً من كلام السلف، كان أحد المحدثين جالساً ويحدث - أظن فيما أذكر الآن أن اسمه بشر بن السري - فحدث بحديث: (وجوه يومئذٍ ناضرة إلى ربها ناظرة) قال ينظرون إلى وجه الله قال: أيش هذا؟ أيش هذا الحديث؟ لا تحدثوا بهذا الحديث، قال الحميدي - وهو

¹ - أخرجه اللالكائي في "شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة" (66/1 - رقم 30) عن أيوب السخيتاني.

من أئمة أهل السنة في مكة، شيخ البخاري - قال: (فقام أهل مكة عنه وهجروه، وما قبلوا منه كلمة بعد ذلك، فأتى واعتذر وتاب)، قال: (والله ما قبلوا منه ولا جالسوه بعد ذلك)⁽¹⁾

لماذا؟ لأنهم يعرفون أن أهل البدع يتلونون، هذا يظهر السنة، وقعت منه هذه الكلمة، فظهر ما في نفسه فأمسكوه؛ أنت منهم، تلوّن. وقد نص الإمام أحمد في أكثر من موضع، قال: (أهل البدع يتلونون) بمعنى كلامه؛ لذلك كان رضي الله عنه ورحمه حذراً منهم جداً.

قال: (ثم لم يستطع الخروج منها، فعظمت وصارت ديناً يدان بها فخالف الصراط المستقيم، فخرج من الإسلام)

فلا تستهن بالبدع الصغيرة؛ لأن مآل البدعة الصغيرة أن تجرّك إلى الكبيرة، وكما قال بعض العلماء: (البدعة بريد الكفر)، وكان البريد قديماً هو الرجل الذي يأخذ الرسائل ويوصلها إلى محلّها، فهذه هي الصلة، البدعة هذه صلة بينك وبين الكفر، ونحن اليوم نسمع ونرى بعض الدعاة يبدأ ببدعة صغيرة، ثم إذا به يرتقي إلى ما هو أكبر منه حتى يخرج من ملة الإسلام ببدعه وضلالاته، فيتلفظ من الألفاظ الكفرية ما تصم له الأذان. نكتفي بهذا القدر إن شاء الله .

¹- أخرج ابن عدي هذا الأثر في "الكامل" (174/2)، قال: (حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عَصَمَةَ، حَدَّثَنَا أَبُو طَالِبٍ أَحْمَدُ بْنُ حُمَيْدٍ سَمِعْتُ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ يَقُولُ كَانَ بِشَرِّ بْنِ السَّرِيِّ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ، ثُمَّ صَارَ بِمَكَّةَ، سَمِعَ مِنْ سَفِيَّانٍ نَحْوَ أَلْفٍ، وَسَمِعْنَا مِنْهُ ثُمَّ ذَكَرَ حَدِيثَ نَاصِرَةٍ إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةً فَقَالَ مَا أَذْرِي مَا هَذَا؟ أَيْشَ هَذَا؟ فَوُثِّبَ بِهِ الْحَمِيدِيُّ وَأَهْلُ مَكَّةَ وَاسْمَعُوهُ كَلَامًا شَدِيدًا، فَاعْتَذَرَ بَعْدَ فَلَمْ يَقْبَلْ مِنْهُ، وَزَهَدَ النَّاسُ فِيهِ بَعْدَ، فَلَمَّا قَدِمَتْ مَكَّةَ الْمَرَّةَ الثَّانِيَةَ كَانَ يَجِيءُ إِلَيْنَا فَلَا يَكْتَبُ عَنْهُ فَعَجَلُ يَتَلَطَّفُ فَلَا نَكْتُبُ عَنْهُ).

الأسئلة:

السائل: شيخنا - حفظكم الله - هذان سؤالان:

أولاً: أخ يستفسر عن طرق دراسة التوحيد في بلاد الغرب، كهولندا وغيرها.

والثاني: يسأل ويطلب منكم نصيحة يريد أن يعرف أيُّ كتب يبدأ بها ليتأصل في العلم؟

الشيخ: هذا السؤال يحتاج محاضرة وحده، لكن باختصار أقول له:

الأصل في العلم أن تأخذه عن العلماء، وأن ترحل وتجلس إليهم وتأخذ عنهم مباشرة، هذا الأصل في طلب العلم،

وإذا كان الشخص يريد أن يكون طالب علم يحتاج أن يصبر ويتحمل كي ينال من هذا الخير العظيم، فإذا استطاع فالحمد لله، وإذا لم يستطع؛ فعندئذٍ يعتمد على الأشرطة المسموعة الموجودة، الآن - الحمد لله - قد توقّرت في كل مكان، فيعتمد عليها ويأخذ مسموعات العلماء الموثوقين خاصة في هذا الجانب- جانب التوحيد والعقيدة- فهو جانب حساس وخطير، فينظر إلى مسموعات العلماء الموثوقين كالشيخ ابن عثيمين، الشيخ الفوزان وأمثالهم، ويسمع لهم ويتدرّج؛ فيبدأ مثلاً بـ:

"ثلاثة الأصول" ثم "كتاب التوحيد"، ثم "لمعة الاعتقاد"، ثم شرح "العقيدة الواسطية"، ثم شرح "العقيدة الطحاوية"،

ثم بعد أن ينتهي من دراسة هذه الكتب على العلماء، إذا استطاع أن يتواصل مع بعض العلماء وبعض طلبة العلم كي يعرض عليه فهمه لهذه الكتب؛ فهذا هو الواجب ولا بد من هذا؛ حتى نتأكد من أنه فهم على العلماء فهماً صحيحاً؛ فالصُّحُفِيُّ ما ذُمَّ إلا لأجل أنه كان يأخذ من الصحف ويفهم، ولا ندري هل فهم فهماً صحيحاً أم فهماً سقيماً، فعندما يعرض علمه الذي فهمه على العلماء أو على طلبة العلم؛ يتبين له ما أخطأ فيه وما أصاب، وإذا لم يستطع فالله سبحانه وتعالى يقول: {فاتقوا الله ما استطعتم} (1)،

¹ - [التغابن: 16]

وينتقل إلى المادة الثانية، والمواد كثيرة طبعاً؛ فمن الفقه مثلاً: أنصح أن يبدأ بـ "الدرر الجمية" وهو كتاب مثنى للشوكاني صغير ومناسب للمبتدئ، وبالنسبة لأصول الفقه أنصح بـ "الورقات" وقد شرحها غير واحد من أهل العلم، وبالنسبة للنحو يبدأ بـ "الأجرومية"، وكذلك بالنسبة لمصطلح الحديث يبدأ بـ "البيقونية".

السائل: جزاكم الله خيراً
الشيخ: وأنتم جزاكم الله خيراً

السائل: سائل يقول: شيخنا! ماذا تقول في كتاب "سير أعلام النبلاء"؟
الشيخ: كتاب "سير أعلام النبلاء" كتاب نفيس جداً، وقد انتفع به العلماء وما زالوا يثنون عليه ثناءً عطراً طيباً؛ فقد بين لنا أحوال رجال كثر، لكن ليس كل ما يروى فيه صحيح، هذا يحتاج أن يُنظر، يعني عندما تريد أن تعتمد على رواية من الروايات تحتاج أن تراجع مصدرها الأساسي وتعرف مدى صحتها، وهو يعتمد اعتماداً كبيراً على كتاب "تاريخ بغداد" للخطيب البغدادي، و "تاريخ دمشق" لابن عساكر؛ يعتمد على هذين الكتابين بشكل كبير رحمه الله، وهذه الكتب تذكر الروايات بأسانيدها، فبإمكان الشخص إذا تمكّن من علم الحديث أن يحكم على هذه الروايات بالصحة والضعف، لكن هذا عندما تحتاج إلى معرفة صحة الرواية، أما بالنسبة لحال الراوي؛ فتكتفي بما يذكره الإمام الذهبي رحمه الله من روايات أهل العلم في توثيقه أو في تضعيفه.

السائل: شيخنا! نفع الله بكم، كيف نجمع بين كلامكم عن الصوفية على أن بعض بداية البدع كانت بكثرة في العبادة، وبين فعل بعض أصحاب النبي ﷺ في الزيادة في العبادة، وكذلك النصوص الواردة عن السلف أنهم كان منهم من يقوم الليلة بقراءة القرآن ومنهم من يصلي ألف ركعة؛ إلى غير ذلك؟

الشيخ: هؤلاء الصحابة ما خرجوا في طريقة عباداتهم عن طريقة النبي ﷺ، أما بالنسبة للصوفية فكانت طريقة عباداتهم مخالفة للطريقة التي كان عليها الصحابة الكرام رضي الله

عنهم، وأنت عندما تقرأ تراجم هؤلاء القوم في الكتب التي ترجمت لهم كـ "حلية الأولياء" لأبي نعيم وغيرها تعرف الفرق بين الطريقين اللتين سلكتا.

السائل : شيخنا- نفع الله بك - بالنسبة لاستخلاف أبي بكر الصديق رضي الله عنه لعمر، والنبي ﷺ لم يستخلف؛ فبماذا نرد على من يقول مثلاً أن أبا بكر الصديق ارتكب بدعة حين استخلف عمر بن الخطاب؟

الشيخ : نرد عليه بحديث: "عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ"؛ ففعل النبي ﷺ وفعل الصحابة الذي لا يخالف فعل النبي ﷺ يدلّ على أنه سنة، وقد وافق الصحابة جميعاً أبا بكر على ما فعله، فعندنا إجماع على هذه المسألة، فلا تعتبر مثل هذه المسائل من البدع والمحدثات.

السائل: حفظكم الله شيخنا، هل أبو حنيفة رحمه الله كان يترك النصوص مع اعتقاده بصحتها ويقدم رأيه؟

الشيخ : هذا محل خلاف بين العلماء؛ بعض العلماء كان ينفي عنه هذا ويقول: ما كان يفعل ذلك، والبعض كان يثبت عليه هذا الفعل كما ذكرنا عن الأوزاعي رحمه الله
السائل : يعني والراجح؟
الشيخ: ما عندي شيء. الله أعلم

السائل: بالنسبة لمن أراد أن يتوب من أهل البدع، رأينا أبا الحسن الأشعري، وابن القيم عندما كان فيه تصوف، وغيرهم؛ رأينا أن العلماء قد قبلوا منهم توبتهم ورجوعهم للحق، فكيف نجمع بين هذا وبين الأثر الذي ذكرتموه في أنهم لم يقبلوا من ذلك الرجل الذي رد النص في قول الله تعالى: {وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة}؟

الشيخ : نعم، عندما يتبين لهم أن الشخص مراوغ في توبته وفي رجوعه؛ عندئذٍ لا يقبلون منه حتى يتضح حاله تماماً، فكان بعض السلف يمهل صاحب البدعة سنة كاملة حتى يتضح بأنه

قد صدق في توبته، أما إذا تبين لهم أنه صادق في توبته من البداية فيقبلون منه، وقد قبلوا من أكثر من واحد، والنصوص عن السلف في هذا كثيرة، لكن كما ذكرت لك: أن بعض السلف كانوا يوقتون لمدة سنة كاملة حتى يظهر صلاحه ويظهر رجوعه عن الباطل الذي هو عليه؛ حسب القرائن التي تظهر لهم.

السائل: بارك الله فيكم شيخنا، هناك من يستدل بوجود بدعة حسنة بقول عمر رضي الله عنه: (نعمت البدعة هذه) فكيف نرد عليهم شيخنا؟
الشيخ: أظن أننا ذكرنا هذا ورددنا عليه في الدرس الأول أو الثاني، لكن على كل حال: قول عمر: (نعمت البدعة هذه) يُرجع إلى فعل عمر رضي الله عنه؛ هل هو بدعة، وهل تنطبق عليه البدعة بالتعريف المعروف لها؟

عمر رضي الله عنه قال هذا عندما أعاد قيام التراويح جماعة، وهذا العمل في أساسه قد فعله النبي ﷺ، فقد قام بأصحابه ثلاثة أيام، وما منعه من الاستمرار إلا أنه خشي أن تُفرض عليهم، وهذه الخشية كانت قد انقطعت بعد موت النبي ﷺ؛ فإن التشريع كان ماضياً مستمراً إلى أن مات النبي ﷺ، ثم انقطع التشريع، فلما زالت هذه العلة التي مُنع الفعل من أجلها، رجع الأمر كما كان عليه في عهد النبي ﷺ، إذاً الفعل له أصل في الشرع أم ليس له أصل؟ نعم له أصل، إذاً لا يقال فيه بأنه بدعة.

طيب ما معنى كلمة عمر؟ كلمة عمر معناها: هي عمل مُحدثٌ بالنسبة لي ما كنت أفعله من قبل، فنرجع إلى المعنى اللغوي في ذلك؛ لأن عندنا قاعدة أن الاصطلاحات إذا منع مانع من حملها على المعنى الشرعي يُرجع فيها إلى المعنى العرفي أو اللغوي، وهنا منع مانع؛ وهو أن هذا العمل له أصل في الشرع وكان ثابتاً، فلما وُجد هذا المانع رجعنا إلى الأصل اللغوي في معنى كلمة عمر رضي الله عنه.

عداك عن أنه هو أحد الخلفاء الراشدين المهيّئين، فلا يمكن أن يكون فعله بدعة.

السائل: حديث: خذوا بالَّذِينَ من بعدي أبي بكر وعمر؟
الشيخ: "اقتدوا بالذين من بعدي أبو بكر وعمر" ⁽¹⁾ و "إن يقتدوا بأبي بكر وعمر يرشدوا" ⁽²⁾ نعم صحيح.

السائل: شخص كان يدعو شخصاً للطاعة وكذا؛ فقال آخر شيء: أنا مسيحي، فسألني هذا هل هو كافر بهذا اللفظ؟
الشيخ: والله إذا كان قالها وهو يريد بذلك أن يخرج من الإسلام وأنه يكون نصرانياً لا شك يكون كافراً، أما ربما يقولها بعض الناس يدفعه إلى قولها شدة الغضب المغلق، وهنا شدة الغضب تكون مانعاً من تكفيره، نعم.

السائل: يعني تكون هذه بذاتها كفرية، وإن كان مثلاً يريد ...
الشيخ: طبعاً؛ هو يشهد على نفسه بالتحول من الإسلام إلى المسيحية
السائل: وإن كان فقط يريد أن ينزاح عنه هذا الداعي؟
الشيخ: هو هذا الذي ذكرنا، وهذا التفصيل الذي ذكرناه
السائل: يعني هذا أصبح مانعاً؟
الشيخ: نعم، أصبح مانعاً من الموانع، هنا وجد مانع من تكفيره، لا شك.

السائل: شيخنا: الآية: { وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ } ⁽³⁾ كيف نوفق بينها وبين فعل أبي بكر الصديق أنه تبرّع بكل ماله؟
الشيخ: جاء عن عمر رضي الله عنه أيضاً بأنه تبرع بنصف ماله، وأبو بكر تبرّع بماله كله، فجَمَعَ العلماء بين هذا وهذا، وبين ما ذكرت وبين فعل أبي بكر الصديق، وقالوا: من كان توكله على الله تبارك وتعالى عظيماً وكبيراً ولا يؤدي إخراج ماله كاملاً إلى التسخُّط أو إلى عدم الصبر؛ فيجوز

¹ - أخرجه أحمد (23245)، والترمذي (3662) عن حذيفة رضي الله عنه.

² - أخرجه مسلم (681) وأصله عند البخاري

³ - [الإسراء: 29]

له أن يخرج كل ماله كما فعل أبو بكر، أما من كان يخشى هذا أو عنده ذريرة يحتاج إلى أن ينفق عليهم فيقال: هذا هو الذي لا ينبغي له أن يتصدق بماله كله؛ هذه طريقة جمع العلماء في ذلك.

السائل: شيخنا - حفظك الله - سمعت أحدهم يقول: إن ولي الأمر ليس مكلف بتطبيق شرع الله؛ فما رأيكم بهذه العبارة؟

الشيخ: هذا كذب، وهذا كلام خطير جداً على صاحبه، الله سبحانه وتعالى أمر بتطبيق شريعته، وقال في كتابه الكريم: { وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ }⁽¹⁾، وقال: { وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ }⁽²⁾، وقال: { إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ }⁽³⁾،

وهذه أدلة كثيرة وكثيرة جداً، والإجماع منعقد على وجوب الحكم بشريعة الله على أي حاكم يحكم في الناس.

السائل: هذه العبارة على الإطلاق تعتبر بحد ذاتها لفظاً كفرياً؟
الشيخ: نعم .



¹ - [المائدة:49]

² - [المائدة:44]

³ - [الأنعام:6]